رسالة في طواف الإفاضة، والتعجل في الحج، ودور المطوف في تفادي الزحام

الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه ينبغي للمسلم أن يقوم بشعائر الحج على سبيل التعظيم والإجلال والمحبة والخضوع والإخلاص لله رب العالمين، فيؤديها بسكينة ووقار، واتباع لرسول الله ﷺ.

كما ينبغي له أن يشغل هذه المشاعر العظيمة بالذكر، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، والاستغفار؛ لأنه في عبادة من حين شروعه في الإحرام حتى يحل منه.

ومن أهم أركان الحج – طواف الإفاضة. وإليك – أخي الكريم – ما يتعلق به من أحكام.

إذا رمى الحاج جمرة العقبة، وحلق أو قصر؛ أبيح له كل شيء حرم عليه بالإحرام إلا النساء وهذا ما يسمى – بالتحليل الأول.

بعد هذا التحلل يسن للحاج التنظف، والتطيب، والتوجه إلى مكة ليطوف طواف الإفاضة لحديث عائشة رضي الله عنها: «كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم، ولحله قبل أن يطوف بالبيت» أخرجه البخاري ومسلم.

وهذا ما يسمى بطواف الإفاضة أو طواف الزيارة، وهو ركن من أركان الحج لا يتم إلا به. وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج: ٢٩].

أما وقته: فقد قال العلماء – رحمهم الله تعالى – إنه من نصف ليلة النحر وآخره عمر الإنسان، ويكره تأخيره عن يوم النحر، وتأخيره عن أيام التشريق أشد كراهة.

وتنبغي المبادرة بهذا الطواف لتكون الطاعة في أول وقتها، ولأن الإنسان لا يأمن أن يكون له مانع كالحيض للمرأة والمرض للرجل.

ولو حاضت المرأة قبل طواف الإفاضة بقيت بمكة حتى تطهر وتطوف، وربما كان ذلك سبباً في تأخيرها عن السفر.

ويشترط في هذا الطواف الطهارة من الأحداث والنجاسات.

ويبتدئ في طوافه بالحجر الأسود فيستلمه بيمينه ويقبله إن تيسر له ذلك بدون زحام، وإلا فلا يؤذي الناس بالمزاحمة، بل يكتفي بالإشارة إليه

ويقـول عنـد اسـتلامه «بـسم الله، الله أكـبر». ويجعـل البيـت عـن يـساره حـال طوافه، ويستحب أن يكثر في طوافه من ذكر الله، والدعاء.

وليس في هذا الطواف ولا غيره مـن الأطوفة دعـاء أو ذكـر مخصوص، بل مهما يتيسر منهما للحاج كفى. وإن قال حـال طوافـه: «اللـهم إيمانـاً بـك، وتـصديقاً بكتابـك، ووفـاءً بعهـدك، واتباعـاً لـسنة نبيـك محمـد ﷺ» فهـو حسن، لأن ذلك مروي عن النبي ﷺ.

وإذا حاذى الركن اليماني استلمه بيمينه، وقـال: «بـسم الله والله أكـبر» ولا يقبله. فإن شق عليه استلامه مضى في طوافـه ولا يـشير إليـه ولا يكـبر لأن ذلك لم يثبت عن رسول الله ﷺ.

ويستحب أن يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وكلما حاذى الحجر الأسود استلمه وقبله وكبر، فإن لم تيسر استلامه وتقبيله أشار إليه كلما حاذاه وكبر، وإذا شك في عدد الطواف بنى على اليقين وهو الأقل.

وبعد هذا الطواف يصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم جـاعلاً المقـام بينـه وبين الكعبة اتباعاً لسنة نبينا محمد ﷺ لحديث جابر رضي الله عنه في صفة حج الـنبي ﷺ: «أنه جعـل المقـام بينـه وبـين البيـت». هـذا، إذا كـان المحـل القريـب مـن المقام واسعاً وإلا صلاهما ولو بعيداً».

ويسن أن يقرأ في هاتين الركعتين: بـ«قل يا أيها الكافرون» في الركعة الأولى، وبـ«قل هو الله أحد» في الركعة الثانية.

وبعد صلاة ركعتي الطواف يذهب للسعي بين الصفا والمروة إن كان متمتعاً سبعة أشواط، يبدأ بالصفا ويختم بالمروة. ويشترط فيه المشي للقادر عليه، وهذا السعي لحجه والسعي الأول الذي سعاه لعمرته. ولا يكتفي بالسعي الأول في أصح قولي العلماء لحديث عائشة: «خرجنا مع رسول الله ﷺ... فذكرت الحديث، وفيه: «فقال: من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يهل منهما جميعاً»... إلى أن قالت: «فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت، وبالصفا والمروة، ثم حلوا، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى لحجهم». رواه البخاري ومسلم.

والأفضل للحاج في يوم النحر ترتيب هذه الأمور فيبدأ برمي جمرة العقبة، ثم ينحر هديه، ثم يحلق رأسه أو يقصر، ثم يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة للمتمتع، وكذلك للمفرد والقارن إذا لم يسعيا مع طواف القدوم. فإن قدم شيئاً من هذه على بعضها أجزأه ذلك لثبوت الرخصة عن نبي الأمة محمد صلوات الله وسلامه عليه.

فإذا فعل الحاج هذه الأمور الثلاثة وهي رمي جمرة العقبة، والحلق أو التقصير، وطاف طواف الإفاضة مع السعي بعده؛ حل له كل شيء حرم

عليه. وهذا ما يسمى بالتحلل التام.

ومما ينبغي للطائف الحذر منه ما أمكن ؛ إيذاء الطائفين الآخرين بمزاحمتهم أو دفعهم باليد أو غير ذلك مما ينقص ثوابه ، أو ربما يذهبه كله.

ومما ينبغي أيضاً إنكاره على النساء وتحذيرهن منه ؛ طوافهن بالزينة والروائح العطرية ، وعدم التستر ، ومزاحمتهن للرجال.

وبعد ما ينتهي الحاج من طواف الإفاضة ، ومن السعي لمن عليه سعي يرجع الحجاج إلى منى فيقيمون بها ثلاثة أيام بلياليهن ، ويرمون الجمار الثلاث في كل يوم من الأيام الثلاثة بعد زوال الشمس ؛ يبدؤون بالجمرة الأولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة.

والرمي في اليومين الأولين من أيام التشريق واجب من واجبات الحج ، وكذا المبيت بمنى في الليلة الأولى والثانية واجب.

ثم بعد الرمي في اليومين المذكورين من أحب أن يتعجل من منى جاز له الخروج ، ويخرج قبل غروب الشمس. ومن تأخر وبات الليلة الثالثة ورمى الجمرات في اليوم الثالث فهو أفضل وأعظم أجراً كما قال تعالى: ﴿ **وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ** ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. ولأن النبي عليه الصلاة والسلام رخص للناس في التعجل ولم يتعجل هو ، بل أقام بمنى حتى رمى الجمرات في اليوم الثالث

عشر بعد الزوال، ثم ارتحل قبل أن يصلي الظهر.

وهناك جانب مهم أحب التنبيه عليه وهو دور المطوف في تفادي الزحام.

لا يخفى على الكل ما يقع في المشاعر من زحام وقت موسم الحج بسبب كثرة الوافدين من كل فج عميق لحج بيت الله الحرام، وتأدية هذه الشعيرة العظيمة؛ مما يستلزم العمل لتلافيه، والحد منه بقدر المستطاع من كل جهة لها صلة بالحجاج؛ تحسباً لثواب الله، وتأدية لما يشرع من تعاون وتكاتف بين جميع الجهات المعنية بحجاج بيت الله الحرام.

فالدين الإسلامي يحث على التعاون والطاعة، بل هما من أهداف الحج السامية وحكمه العظيمة.

وعلى المطوف مسؤولية كبيرة في هذا الجانب إذ إن وظيفته من الوظائف الرئيسية، ودوره مهم بالنسبة للحج. فمن واجبه أن يكون ذا أخلاق فاضلة، وصفات حميدة تحدو به إلى الشفقة والرحمة، وتقبل التعليمات والتوجيهات دون النظر إلى الناحية المادية فقط.

وعليه أن يستقبل ضيوف الرحمن بعطف وحنان ومحبة ورغبة في الخير والثواب. ويرشدهم إلى ما ينبغي اتباعه من التعليمات الصادرة من الجهة المختصة بشؤون الحج، والتي رسمت لهم سواءً في النقل أو السكن أو غير

ذلك. لأن المباردة إلى التعاون مع الجهات المسؤولة في الحج عن التنظيم أمر مطلوب، قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة: ٢].

وفي هذا امتثال لأمر الله بالطاعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾ [النساء: ٥٩].

فإذا امتثل المطوف الأوامر، واتبع ما رسمت له الجهات المختصة بشؤون الحج من الدولة، وأحسن سياسته مع الحجاج الذين يقوم بتطويفهم، ولاطفهم، وأرشدهم إلى ما يجب اتباعه، وأعد لهم وسائل النقل حسب التعليمات، وسار بها مع الطرقات المحددة، وأوقفها في الأماكن المخصصة لها، وراعى جميع الأوامر في ذلك؛ فلا شك في أن هذا تأدية لما يجب أن يؤديه المطوف تفادياً لما يحصل من زحام.

هذا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

